المنحى الاجتماعي للمثال النحوي في كتب التراث

- مقارنة لسانية اجتماعية -

د. معمر منير العاني
الجامعة العراقية / كلية الآداب

تقديم

إن أحرى ما يُجعل صدراً لكل كلمة، الحمد لله على نعمه، والشكر على مننه، وأهنأ صلواته وأدومها على أمين وحيه، وناصح أمته، محمد، وعلى المضطلعين بما حُمّل آله وصحابته.. أما بعد

فإن اللغة قد أُزلفت للفكر البشري بأنها نظام عام يشترك الأفراد في اتباعه، وهي ليست من الأمور التي يصنعها فرد معين أو أفراد معينون، وإنما تخلد إلى طبيعة الاجتماع، وتنبعث عن الحياة الجمعية، وما تقضيه هذه الحياة من تعبير عن الخواطر، وتبادل الأفكار، وكل فرد يكتنفه نظام لغوي يتلقاه من مجتمعه بالتعلم والمحاكاة، ويصب أصواته في قوالبه، ويحتذيه في تفاهمه وتعبيره.

والذي يجوس في طيات المتقدم يعرف حق اليقين أن اللغة خاضعة لمقاييس المجتمع وعاداته وتقاليده وثقافاته، وهي سبيل متأصل لكشف عادات المجتمع ومستواه الحضاري؛ ولهذا يعتريها التبدل والتغيير في أنماطها وأنساقها أكثر مما يعتري الظواهر الاجتماعية الأخر.

وتـــأسيساً على تكلم العوارف المنتظمة للغة، والفواضل المتابعة لها تحققت قناعة بإيلاء الدرس اللغوي من الوجهة الاجتماعية، لاستأنف النظر في جوانب لغوية أودعها مِراس الكلام في الجمهور، وغدت وسيلة توفر للإنسان التخاطب والتواصل؛ وصولاً للاجتماع البشري. وتحريت لهذا المسعى استرفاد أنماط لغوية ضمت المثال النحوي التراثي ومقاربته باللسانيات الاجتماعية، لتترسم أبعاد نحوية كان المنحى الاجتماعي حاضراً في توجيه التقعيد، بين دفتي دقة المعيار ومواضعة النظام الاجتماعي.

والحق أن قناعة إيلاء هذه المقاربة قد انتظم عقدها بما ألفناه من الآثار والأخبار النقلية والعقلية التي أتت على فضل الأوائل في توظيف المثال وتحليل الخطاب بأمور مستقيمة وفطن شتى تراعي شروط الاستعمال وأعراف المجتمع، وتؤذن باكتمال صورة الممارسة الاتصالية، وإن لم تصل في أحايين إلى حد الاستقراء، وليست بضار؛ لأنها من صنيع نفس بشرية جبلت على الخطأ والنسيان.

مقصد تمهيدي

أنظار واعية

قد يَعنُّ لدراس اللغة أن يتفحص مقولة الاجتماعين والتربويين في أعراف المجتمع وتقاليده، وأن يمعن في تلقيبه لأخاديدها، بآية اختلاف المعارف، وشتات الأمر، وعبء البسط.

ولا مندوحة لنا– في هذه المقاربة– عن لزوم ما قد يراه الآخر غير لازم، وهو تَمثّلُ قرائن قادحة للوعي المعرفي بين المجتمع واللغة.

والذي يعيننا على وجه مقصود أن[1]:

- الناس حين يرغبون أو ينقلون شيئاً ما إنما يتأثرون بثقافة المجتمع الذي يعيشون فيه.
- لكل مجتمع طابعه الخاص به في نظرته إلى الصفات والخصائص التي بها تحدد القيم لذلك المجتمع؛ لذا يرتبط مصدر القيم في المجتمع نفسه.
- المجتمع بما يحتويه من عادات وتقاليد ونظم وأعراف يسهم في صنع القيم.
- اللغة تؤدي الدور البارز في إظهار القيم والمحافظة عليها عبر الزمان.

ولا يغيب عنا– في ضوء التوجيه المجتمعي آنف الذكر– سمة الجزم الثاوية وراء صيغة المحاور الراجحة، فدراسة اللغة بمنأى عن المجتمع لا تحقق وجاهة فكرية متئدة، ولا سبيلاً استقرائياً يدرك الواصف مداه.

نديٌّ أنامل اللسانيين

لا غرو أن الإطار الاجتماعي الموغل في أعراف الناس وتقاليدهم له أثره فيما يصدر عن المتكلم من تراكيب، (ولفندريس) قول وطيد العوائد بما نرمي إليه، ففي أحضان المجتمع تكونت اللغة، ووجدت يوم أحس الناس بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم.

وتنشأ من احتكاك بعض الأشخاص الذين يملكون أعضاء الحواس، ويستعملون في علاقاتهم الوسائل التي وضعتها الطبيعة تحت تصرفهم، فاللغة بمعناها الأوفى تنتج من الاحتكاك الاجتماعي، ولهذا صارت من أقوى العُرى التي تربط الجماعات، وقد دانت بنشوئها إلى وجود احتشاد اجتماعي[2].

ولا نجد في أنفسنا حرجاً مما قضى به (جورج ميد) بأن اللغة ركيزة أساسية لعملية التفاعل الاجتماعي، فهي تضع الوسائل الملائمة، والرموز المشتركة التي بوساطتها يبلغ الطفل عقله البشري، فالطفل طبقاً لرأي (ميد) يتعلم التفكير، ويشعر بالطريقة التي يؤديها الآخرون[3]، وفي اختلاف لغة الأطفال عن لغة الكبار، واختلاف اللغة باختلاف: التواصل الإقليمي، أو الاجتماعي، أو العرفي، أو الجنس، كما أن هنالك طرفاً خاصاً للتكلم واختيار الكلمات تحددها متطلبات اجتماعية معينة[4]، وفي هذا التنظير يظهر الكلام متواشجاً غير متفاصل في استنطاق معطيات علم اللغة الاجتماعي ومنزلتها في الدرس اللغوي.

وكان تماماً على الذي تقدم وتفضيلاً له أن نتلمس كنه المثال النحوي وعلاقته بالمجتمع، ولعل تلمس العلاقة القائمة بينهما يسير في اتجاهين: أحدهما: تأثر ما أورده النحويون من أمثلة بأعراف المجتمع كونه يشكل البيئة الطبيعية للكلام المبني على ثلاث جهات إشارية: المتكلم (المثير)، والمشار إليه، والمتكلم (المشار له)[5]، والآخر قد تتأصل الأعراف بالتوجيهات النحوية، فيتضوع منها ما بُقرَ من مستور نواميس المجتمع، ومأمول مجالاته المعرفية.

ومما نبادر بسوقه– في هذا المقام– أن الكثير من أمثلة النحويين حملت في طياتها غايتين:

إحداها: تركيبة نحوية، فالمثال ما يؤتى به لإيضاح القاعدة النحوية وإيصالها إلى ذهن المستفيد[6].

الأخرى: اجتماعية ثقافية، فسكن في مضمون بعض الأمثلة "عنصران رئيسان هما: الإشارة والرسالة، الإشارة؛ لأنه يحمل دلالة تأريخية اجتماعية على عصر معين أحياناً، فلا يوجد في كتب النحو القديمة مثال يدل على أسلوب الحال بجملة: (انطلقت السيارة مسرعة)؛ لأن السيارة بمفهوم العربة الآلية التي نعرفها لم تكن موجودة قبل عدة

قرون، كما تشير الجملة الفعلية (أعتق زيد جاريته) إلى ظاهرة الجواري والعبيد، وهي الظاهرة التي لم يعد لها وجود فعلي في عصرنا، أما الرسالة فلأنه يرتبط بمضامين الحياة المختلفة"(7) وسياقها الثقافي والاجتماعي بما هو آلية اتصال بين المتخاطبين.

وتكفينا الخطاطة القادمة مؤونة استطراد التفصيل، لتكشف مبتغى التحصيل في عوائد هذا السبيل، باختيار مضمار التطبيق.

المنحى الأول

الاحتراس الديني في المثال النحوي

إن تتابعاً للمدونات بأشكالها المعرفية، وامتداداتها المتوالجة يفضي إلى أن الدين هو المصدر الأساس لانبعاث القيم، ومرتكز الحكم على الأشياء بالحسن والقبح، "فالقيم التي يجد لها الناس أصلاً في الدين يقبلونها، ويرفضون تلك التي تتعارض مع تعاليمه المقدسة"(8).

ويصحب في قلب هذا التتابع تلازم ارتسخ بين الدين واللغة، فالمجتمع في طقوسه الدينية ومشاعره يسلك مسلكاً لغوياً ذا طابع خاص، ولغة الدين لها ألفاظها وتراكيبها وطرائقها التعبيرية، كلغة الأذان، والصلاة، والخطب الدينية، والمدائح النبوة. ونستطيع أن نلمس في لغة الأساليب الدينية ميلاً إلى الإيقاعات الصوتية، والتواصل، وتتابع الأصوات، وتنغيم الكلام(9).

لقد جعلت بعض المصادر اللغوية هذا التلازم- الديني اللغوي- تذكرةً في متونها؛ لتعيها أذن واعية بدور الخطاب اللغوي في التعبير عن الواقع الديني بعقائده، وعبادته، وأخلاقه، ومعاملاته، وتلك وشيجة لم يألفها الدراسون في لغات أُخر.

وبذا نصل إلى مسند وثيق، ومعتصم مانع بأن الأمثلة المتْحصلة من الخطاب قد ارتبطت بقيم المجتمع ارتباطاً مكيناً "إنْ في صياغتها، وإنْ في تفسيرها ودلالتها، وهي تشكل مادة تعكس شيئاً مستوراً من الوقائع الاجتماعية، ومألوف معتقدات الناس، وإذا كانت طرائق النحاة في معالجة تلكم الأمثلة موصلة إلى تقصي شيء من ذلك فإن ثمّ أنماطاً تركيبية تظل مستغلقة أو تكشف ملابسات العرف الاجتماعي، ثم كان هذا العرف مسعفاً النحاة على توجيه جملة من التراكيب التي ينتابها لبس إن لم تؤطر على نحو صارم، وتلك ملاحظ متداخلة يدل بعضها على بعض"(10).

ولنا أن نتحرى شيئاً من أطوارها في:

أ- رضيُّ الأفعال:

قال ابن جني: "إن قولك: إذا زرتني فأنا ممن يحسن إليك، أي: فحري بي أن أحسن إليك، ولو جاء الفعل مصارحاً به فقال، إذا زرتني أحسنت إليك، لم يكن في لفظة ذكر عادته التي يستعملها من الإحسان إلى زائره، وجاز أيضاً أن يُظن به عجز عنه، أو ونيٌّ وفتور دونه، فإذا ذكر أن ذلك عادته ومظنته منه كانت النفوس إلى وقوعه أسكن، وبه أوثق، فاعرف هذه المعاريض في القول، ولا ترينها تصرفاً واتساعاً في اللغة مجردة من الأغراض المرادة فيها، والمعاني المحمولة عليها"[11].

ما كان ابن جني ليذر الجملة على ماهي عليه حتى يكتنز المتولد منها، آخذاً بالحسبان النظم ممثلاً بالمسند والمسند إليه والدلالة ممثلة بالحدوث والثبوت، والمعطيات الاجتماعية التي يستعملها الباحث اللغوي في تحليله للأنماط اللغوية، إذ "لابد من تحديد المعطيات اللغوية المؤثرة في اللغة، والتي تشكل الإطار الاجتماعي للحدث الكلامي، ومنها يمكن الربط بين الأشكال اللغوية والعناصر الاجتماعية الفعلية"[12].

والنحويون – فيما نحن بصدده– اتخذوا في مناهلهم المتعاقبة مسلك التفريق بين الجملتين: الشرطية والفعلية؛ فالشرطية تدل على الحكم بالنسبة على حين دلت الثابتة على نسبة الحدث إلى الفاعل، والمعيار الفاصل بينهما هو مبدأ تعلق جملة الشرط بجملة الجزاء، أي أن يكون الثابت مسبباً عن الأول، ففي قولنا: (إن زرتني أكرمتك) يكون الإكرام مسبباً عن الزيارة متعلقاً بفعلها"[13].

وما "أشبه هذه الملاحظة بملاحظات اللغويين الاجتماعيين حول تخصص ألفاظ وتراكيب معلومة بمواقف دينية أو تقليدية معلومة"[14]، لذا يُعدُّ عدولاً عن مراصد الوصف، ودوائر التشخيص وقوفنا إلى ألفاظ الزيارة، والإحسان، والإكرام، التي حملها مثال ابن جني وغيره، لتكون ضرباً من الاستشعار بأن اللغة تهدي إلى التواصل الاجتماعي والتقارب بين النفوس، "وهي جسرنا لإقامة العلاقات الاجتماعية وتطويرها، وقد أطلق الأنثرويولوجي (مالنوفسكي) على هذه الوظيفة (التواصل الودي بين الناس) (Phatic Communion)"[15].

وحرصاً على مأنس التقارب بين تأصيل صلح عن القدماء واستئناف طرقه المحدثون نقدم مراماً اجتماعياً يكتنف مثال الزيارة، ويستوطن في الخطاطة القادمة:

ب- مَحق المنهي

قال سيبويه: " "والأمر والنهى لا يكونان إلا بفعل ، وذلك قولك .... وأما خالداً فلا تشتم أباه."[16]، هذا المثال يشهد بنفسه على نفسه، فلم ينأى عن واقعية ماثلة في استعمالات المجتمع، فإذا بالذي يرقنه –في مثال نبذ الشتم– يصبح غاية اجتماعية عبر مصفاة اللغة، وفتحاً بين المتكلم والمخاطب في الممارسة الاتصالية، وإن أتى بأمثلة تخالف سبر ذلك كقوله : "هذا تمثيل لا يتكلم به"[17].

وكفى بالإجراءات القادمة هاديةً إلى سواء المرام، وقائم الدعائم على استحضار الملابسات اللغوية والاجتماعية في طيات المثال:

– الجزاء: يرى ابن السراج في أما معنى الجزاء، كأنه يقول: "عبد الله مهما يكن من أمره فمنطلق"[18]، وقد "لزمت الفاء الجواب؛ لما فيه من معنى الجزاء"[19].

من أجل ذلك كان لزاماً أن تستذري حصيلة كامنة وراء تخوم حقيقة هذا التعقيد مداخلها: أن هذه الأدوات أصبحت كالزاد المحتم بإسباغ معانٍ معينة تعين على إيقاع الأثر في النفوس عبر أسلوب تعبيري خاص، "فإذا أراد المتكلم، أو الكاتب تحول الجملة المثبتة إلى جملة منفية، أو طلبية، أو تخصصية أدخل على الجملة الأدوات الموضوعة لهذا الغرض، وقوّلب جملته حسب شكل معين اقتضته ظروف القول، ومناسبته، وفرضه حال المخاطب، وردود فعله"[20].

– التفصيل: قال الرضي: "أعلم أن أما موضوعة لمعنيين: لتفصيل مجمل، نحو قولك: هؤلاء فضلاء، أما زيد ففقيه، وأما عمر فمتكلم، وأما بشر فكذا، إلى آخر ما تقصده"[21].

إن هواجس التحري اللساني، ولذة اكتشاف المتواري من سمة التفصيل تجعلنا لا نرمي بالظن إذا قضينا أن الرسالة المؤداة من المثال ينجلي أمرها كلما حافظ المتكلم على نسق الأداء التفصيلي بوصفه مرتكزاً دينياً ينبغي تذكير المتلقي؛ وبذا تغدق علينا سمة التفصيل بالقدرة على الوفاء بالقصد الدلالي في أدق شقائقه.

ويبدو أن الأمر له مزيد تعلق مع قول الغربيين: When I try to speak to inform certain matters to the listener and his observation that my intention in the delivery of these things, and I have achieved the intended effect, or if required on the listener made him realize what I mean[22].

أي : حينما أتكلم فإنا أحاول أن أبلغ أموراً معينة لسامعي بجعلي إياه يلاحظ نيتي إيصال هذه الأمور، وأكون قد حققت الأثر المقصود، أو المطلوب على السامع إذا ما جعلته يدرك قصدي

– الاستلزام: هو من معاني جملة (أما)، قال الرضي "هو استلزام شيء بشيء، أي: إن ما بعدها شيء يلزمه حكم من الأحكام"[23].

لن نستأنف خطاباً مستعاداً في توجيه الإلزام بالجزاء في التشكيل النحوي للمثال، ولكن نضع المسألة في حيز التنبيه على ومضة سياقية شارحة للإلزام المجتمعي، على التسليم بمقولة أن اللغة تخلّقت في أحضان المجتمع، "وهي قنطرتهم للتواصل فيما بينهم، وتتجاوز وظيفة التفكير المجردة، والتعبير عما يختلج في أقطار النفس، لتشمل استجابة المتلقين لها"[24].

ولتستبين سبيل إلزام المنهي عنه في المثال بمستقر الضبط الاجتماعي ومستودعه في "دين متبع، وسلطان قاهر، وعدل شامل، وأمن عام، وأمل فسيح، فالخلق هو الدعامة الأولى لبناء المجتمع المتماسك: عاطفياً، وفكرياً؛ لتتحقق وحدة الجماعة، وتكامل شخصيتها"[25].

– التوكيد: ذكر ابن هشام هذا المعنى من جملة (أما)، وعزاه إلى الزمخشري[26].

جليٌّ أن الدارسين قد أسهبوا في مدارسة التوكيد بطرائقه التعبيرية، وأبعاده الأسلوبية، وعلاقات عناصره في العمق والسطح، وصولاً إلى المعاني المتوخاة.

ولا نكون في أمر مريح إذا استجمعنا روافد اجتهادية لمبعث التوكيد في نظم الكلام، فهو منزع للظنون، ومحقق للمنقطعين، ومصدق للراغبين، لما يحمله من بصيرة هادفة، أو عظة زاجرة، أو عبرة رادعة، فلا تجعل المتلقي يتلقاه معرضاً، ولا يزور عنه أزوراراً؛ ليتراصف في نظم المثال حقائق "الردع الروحي، والإيمان بالقيم الاجتماعية،

والخوف من غضب الله، ومن ثمّ يصبح لهذه السلطة الروحية قوة تفوق قوة القانون، وأحكامه، أو مظاهر السلطة المادية الأخرى"[27].

– نسق الترتيب، قال سيبويه: "(أما) و (إذا) يقطع بها الكلام، وهما من حروف الابتداء"[28].

إن الإمعان في هذا القول مع الحرص على ربط الأشياء بالنظائر، ووصل الهوامل من المجتمع بشواملها سينبهنا إلى لزوم الترتيب في تكوين الجمل والعبارات، "فإذا اختل هذا النظام في ناحية من نواحيه لم يحقق الكلام الغرض منه، وهو الإفهام، ولا تمثل مفردات اللغة إلا ناحية جامدة هامدة من تلك اللغة، فإذا نظمت ورتبت ذلك الترتيب المعين سرت فيها الحياة، وعبرت عن مكنون الفكر، ومما يدور في الأذهان"[29].

وبمقتضى هذا الفيض لا يضرنا أن نقضي بالتقاء تطبيقات الأوائل مع النظرية اللسانية الاجتماعية، وأن النظرة الشكلية لم تكن وحدها الحاضرة في أنظار النحويين.. ومقياس اللغة عنده – سيبويه –" تستمد من معطيات النظام الداخلي للبناء اللغوي كما تستمد أيضاً من مقتضيات السياق الاجتماعي التي تكتنف الاستعمال اللغوي"[30].

المنحى الثاني

توافق النسق المجتمعي

اللغة نظام مجتمعي متكامل، كذلك قال الذين هجسوا أمرها، فتولدت قناعة راسخة بأنه لا يمكن "تصور تأريخ بلا لغة، أو دين، أو فكر بدونها، أو إحساس لا يترجم عنه بها، إن الشركة في كل أولئك هي الحياة الاجتماعية، ولا تتم هذه الشركة بدون اللغة"[31]، فهي "ليست من صنع فرد، أو أفراد معينين، وإنما أوجد نظامها طبيعة الاجتماع، وما تقتضيه هذه الحياة من متطلبات"[32].

ومن قبل كان الجاحظ مستبصراً بتنوع أساليب التعبير في المواقف المجتمعية، وذلك وقف على العوامل الاجتماعية، والزمانية، والمكانية والحالية، التي تستدعي ذلك الأسلوب، أو غيره، وقد يكون مشافهة أو كتابة، أو إشارة تعني عن التأنف في اللفظ، وتدبيج العبارة، وتكون أكثر إفصاحاً[33].

وإذا رمنا دليلاً على الإفادة اللغوية من الأمثلة النحوية المفصحة عن خواطر المجتمع التوافقية فلنا أن نتوسل بضروب آتية تكون عاكفة على طبيعة المرام.

أ- نواميس الزمان:

قال ابن جني: "من ذلك أن ترى رجلاً قد سدد سهماً نحو الغرض، ثم أرسله، فتسمع صوتاً، فتقول: القرطاس والله، أي: أصاب القرطاس، فأصاب الآن في حكم الملفوظ به"[34]. ليس غائباً أن ثمّ بتراً يغيّبُ غيرَ قصير من الزمن، و ليس بالمقدور معاينة تحولاته في المنجز اللساني إلا باغتنام نجابة عنصر المجتمع، وبالخلوص إلى سجية الاستعمال اللغوي المودع في السياق الخارجي.

ولا يكون حشواً للكلام أن أشير إلى قرائن بمحض أرومة المثال النحوي – آنف الذكر – لا يرنقها قذى اللبس في فهم المجتمع للزمن المعاين لفطن المتكلم.

- مُستثار اللفظ:

غير ملتبس أن يركن النحويون إلى ألفاظ موحية بأعراف المجتمع التي صيغت في زمن تأسيسها الأول، أو في زمن تأصيلها في بيئة النحويين"، فكلمة (القرطاس) صيغة مجردة لم تكتسب أية دلالة إلا عند رسم السياق الذي تحولت فيه إلى عنصر حامل لمعنى الإصابة، وهذا المعنى كان مرتبطاً بالزمن"[35].

- تحوّط المعنى

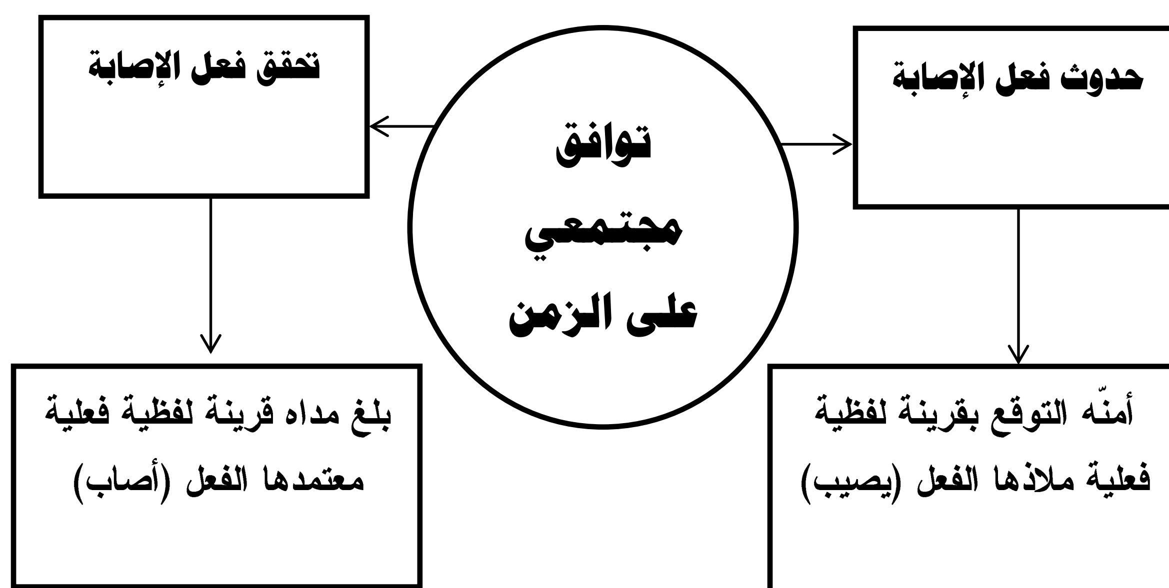
مما يسترعي الانتباه أن هذا المثال قد أسس لتشكيل لافت، له باعث من بواعث حصر المعنى وتعيينه على الهيئة التي جاء عليها نظم الكلم، واستقر عليها فهم الجمع، وقد فتشت عن تفسيره فخشيت أن تتقاصر همتي لتمام بلوغه، فإذا الذي أنا خائض فيه يقودني إلى نظرة الماوردي التي تستغرق أمد الشرح، وتوفي إغراق المكثر، فأبلغ أن "المعنى الثابت الذي يحكمه مقامه والظروف والملابسات التي كانت تحيط بالمتكلم والمتلقي معنى قابل للتعدد والتفسير مع مضي الزمن؛ لأن هذا المعنى في الأصل متولد من علاقة خاصة بين المتكلم والمتلقي، وبين المدلولات (المعاني)، وبين المقام الحضاري والاجتماعي والثقافي، وقد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد، فيحسن من وقت ما لا يحسن في آخر، ويحسن عند أهل بلد ما لا يحسن عند أهل غيره"[36]، لذا يدرك مجتمع المثال خفي الزمن بنباهة قدر ما لا يدركه غيرهم إلا بكؤود باهر وصعود عسر.

- محتد الحدوث:

إذن بسط ابن جني بموجهات نحوية ارتبطت بتلاد اجتماعية، فزمن النسق النحوي "لا يحدد الزمن المطلق إلا قليلاً، بل يحدد الزمن النسبي الذي يبين نسبة زمان الحكاية إلى زمن حدوث الفعل في السياق، فلا زال تحديد الزمن النحوي مؤملاً بتدارك الفصيلتين: الصرفية والنظمية"[37].

وباستجلاب محمدة التدارك أُكثِبَ للمتلقين مُساغ الزمن النحوي بصيغه المتواترة "مع بعض القرائن الزمنية مثل: الحروف، والأفعال المساعدة الزمنية، وعلاقة الحدث بالحكاية"[38].

وتترسم آلية إجرائية تجلي مطلب هذه المباحثة:



ب- واقعية المكان

أستهل بمقولة المبرد: "من أصلها ابتداء الغاية، نحو: سرت من مكة إلى المدينة، وفي الكتاب: من فلان إلى فلان، فمعناه: أن ابتداءه من فلان، ومحله فلان، وكونها في التبعيض راجع إلى هذا، وذلك أن نقول: أخذت مال زيد، فإذا أردت البعض قلت: أخذت من ماله، فإنها رجعت بها إلى ابتداء الغاية، وقولك: زيد أفضل من عمرو، إنهما جعلت غاية تفضيله عمراً، فإذا عرفت فضل عمرو علمت أنه فوقه"[39].

إذا محصنا المتقدم من المقولة نجد المعالم الغالبة على وجه الإحكام فيها تنبئ عن أن: (من) حرف جر يرد لمعان عدة أحظاها ابتداء الغاية، كقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء من الآية 1)، وله معان أخر[40].

واكتفي بما تقدم من حديث مجل لحدود الأداة ومقاصدها، لأنتقل إلى ما يمكن الإلماع إليه من توصيف اجتماعي لمثال المبرد، وفاءً لمتطلب المسعى، واستكمالاً لاستشراف فرائده النحوية، ومما سنقف عنده بالتجلية والشرح بعداً:

– مهد الغاية: بالارتحال من مكة المكرمة، وتلك – الغاية – إشارة من علم النحويين بعميق خصائص كلام العرب، ورغائبهم في مختلف أحوالهم ومقاماتهم، ومن أحسن قولاً مما دعا إلى غاية مكانية مقدسة، واتخذها أساساً لفهم الأخبار، وسمو الأعلام.

ومن حصيف الرأي أن يقترب مثال السير من الوديعة المحفوظة في قول المصطفى –صلى الله عليه وآله وسلم–: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى"[41]، ليجريه المتكلم إلى منتهى سؤله فيما يرتجيه من التأميل في استبغاء خالصة المتلقين، وإشرابهم حب المكان.

– عُرى الهيئة: استحب العرب السير إلى محمود الأماكن، ومنه صنيع الحجاج بعد انتهاء مشاعر الحج يقصدون مدينة الرسول الكريم فاستيقنتها أنفس النحويين في أمثلتهم، منيبين إلى أن اللغة: صيغ وتشكيل مستوحاة من المجتمع، "تدب فيها الحياة بكل مضامينها وأبعادها، وليست عبارات مسكوكة، تحمل الطاقات التعبيرية، حتى لو كانت في المعجم؛ ولهذا فكل استعمال لأية صيغة من صيغ اللغة في الأفراد والتركيب ابتداع جديد غالباً في بعده السياقي غير اللغوي"[42]؛ لأن النظام اللغوي لا زال مأمولاً تنال به الحاجة في المجتمع، ومرجواً تستنجح به طُلبة المتكلمين.

– محتوم الرؤية: لم تكن أعين النحويين في غطاء عن ذكر أمثلة موصولة بأركان المجتمع، لا ينال منها انقطاع الرسل والكتب، ولا يسمُل حدّتها الزمان، ولا يبليها تكرار الحوادث؛ وبذا تكون تشكيل الأداة (من) بابتداء الغاية (مكة المكرمة)، والأداة (إلى) بانتهاء الغاية (المدينة المنورة) في النسق النحوي للمثال قد أصاب هدفاً واعياً في التفاعل

بين أبناء الجماعة اللغوية، والتواصل بين المتحدثين كونهم ممثلين في المجتمع، وكأن النحويين بعدم اتخاذهم مكاناً قصياً قد استشعروا أن القارئ "يبدأ الفهم بعد تلقيه العناصر المكونة للنص ومعالجتها، مما يستغرق إجراءات متتالية توصله في النهاية لفهم النص"[43]، على أننا نعقب على المتقدم باستدراك يعدُّ النظريات التي تنطلق من التفاعل اللغوي والتفاعلات الاجتماعية "إطاراً لذلك التفاعل، تضع بداية الفهم قبل قراءة النص في توجيه ذرعي متقدم؛ لأن فهم اللغة قائم على توقعات دلالية وذرعية؛ لأن القارئ يتجه عادة بنية مسبقة إلى تلقي النص"[44].

المنحى الثالث

التفكير الجمعي

قد خلت من قبلنا بصائر غير منبتة الصلة عن منطق اللسانيين، ظفرت بها ثلة من الأولين في معالجة اللغة الإنسانية بأنساقها اللفظية، ومعانيها المقررة في أذهان المتلقين.

وجاء قول ابن خلدون– في هذا السبيل– بالغ النظرة مما لا يبلغه صاحب الفكرة، فاجتبى أن "اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصود، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلابد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كل أمة حسب مصطلحاتها"[45].

ولا يؤخذنا مؤاخذ إذا احتفينا بالمتقدم؛ لأنه يحظى بالموقف الكلامي بين الباث والمستقبل، وما يتبادلانه من خطاب لغوي متداول ومفهوم "يساعدهما على التواصل، فيضحى خطابهما دالاً ومدلولاً عليه... والدال والمدلول عليه يحملان دلالات نحوية، وصرفية، وصوتية، ومعجمية"[46].

ويزهى ثلة من الآخرين بهذا الحدس اللغوي الجمعي متبحرين، ويصولون به راغبين، فأظهروا –ومنهم فيشمن– أن الأبعاد المتصلة بالاستعمال الاجتماعي للغة هي: "الانتماء إلى جماعة معينة، والعلاقات بين المتخاطبين، وموضوع المخاطبة، ومجال التفاعل، وقناة الاتصال، والدور الذي يضطلع به الأفراد في التفاعل وغيرها"[47].

وعسى ألاّ يكون المتصل من هذا العرض في غُفل عن هواجس التواصل الجمعي بله عن عمق تحليل المثال في سبر تفكير الجمع بالأداء اللغوي.

أ- وجاهة السماع:

وفد علينا من التراث فحص نحوي لقولهم: (سمعت زيداً يقول ذاك) قال ابن باشاذ: "ولما اقتضى مسموعاً لم يجز أن يقال سمعت زيداً؛ لأن زيداً ليس مما يسمع، فتحتاج أن تقول قراءة زيد؛ لأن القراءة مسموعة"[48].

إن مقومات النظام اللغوي تنطلق من تبصر أطرافه، واستبطان مراميه، ولمغادرة المستعجم من هذا البسط أوشج بيننا من الملابسات الاجتماعية إيناس لحال المثال يحسن الوصول إلى غايته التبليغية:

– وقع الحواس: فالفعل (سمع) من الأفعال التي تتعدى إلى مفعول واحد، وهو أحد أفعال الحواس التي نص العلماء على تعديها إلى واحد، "فكل حركة للجسم كانت ملاقية لغيرها، وما أشبه ذلك من أفعال النفس، وأفعال الحواس من الخمس، كلها متعدية ملاقية نحو: نظرت، وشممت، وسمعت، وذقت، ولمست، وجميع ما كان في معانيهن فهو متعد"[49].

قد نبأنا النحويون من أخبار إمعان المجتمع النظر في حركة الحواس، ليستطيل على الزمان بأن الحركة الجسمية ليست حركة فيسلوجية مجردة من رفد المجتمع بالمعنى، وتشكيل الرسالة، وانعقاد التواصل، فهي "نظام اجتماعي شأنه شأن اللغة، ويؤخذ بالاكتساب، وتدرس في إطار المجتمع؛ ولذا فهي قابلة للتحليل إلى عناصر، حتى يمكن دراستها على وفق مستويات علمية، وهي خصيصة من خصائص الاتصال الإنساني، وهذا النظام لا يدرس على وفق الاتجاه الوصفي الخالص الذي يقف عند الظواهر السطحية، وإنما يسعى إلى فهم طبيعة الإنسان عن طريق تفسير القوانين العميقة للحركة الجسمية، وتحولها بعد ذلك إلى أداء ظاهر"[50].

– مرقب المسموع: ذهب الفارسي إلى أن (سمع) من الأفعال التي تتعدى إلى مفعولين، قال: "إلا أن سمعت يتعدى إلى مفعولين، ولابد من يكون الثاني مما يسمع، كقولك: سمعت زيداً يقول ذاك"[51]، ونسب ابن مالك هذا الرأي إلى الأخفش والفارسي، ووافقه[52]. واحتجوا بأن هذا الفعل يتوقف مهمه على سماع سامع، وقد دخل الفعل على ما لا يسمع، فاحتاج عندها إلى معنى المسموع[53].

لقد اختار النحويون على علم من الناس، الأشكال النحوية، وتحروا رشداً الأنماط التعبيرية المسموعة عند العرب، باستعادة أحوال المخاطب والملابسات الاجتماعية المحيطة بالموقف الكلامي والتبصر بالكفاية التخاطبية بين المرسل والمتلقي، مستيقنين بأن "المعرفة اللغوية وحدها لا تكفي في فهم المقولات اللغوية، وتأويلها، وأن التلقي دائماً في حاجة إلى الوقوف على ملابسات المقولة والأحوال التي قيلت فيها، لكي يبلغ مراد المتكلم من كلامه"[54].

- إربة السماع:

في قولهم (سمعت زيداً) يكون المسموع في الحقيقة هو الصوت، فلا ينحجب الوعي عن تقدير محذوف في الجملة، أي: "سمعت صوت زيد في حالة كلامه"، فصوت زيد أعم من أن يكون كلاماً أو غيره، واحتجوا لهذا بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ (الشعراء: الآية 72)، فالمعنى: هل يسمعون دعاءكم، على حذف الدعاء بدليل (إذ تدعون) عليه"[55].

ولنا أن نتعقب نصوصاً تثري تفسير مآرب السماع في المجتمع بأقرب ما يزدلف لديه، ومن ذلك قول الشاعر:

سمعت النـــاس ينتجعــون غيثــاً فقلت لَصِيْدَحَ انتجعــي بلابــلا[56]

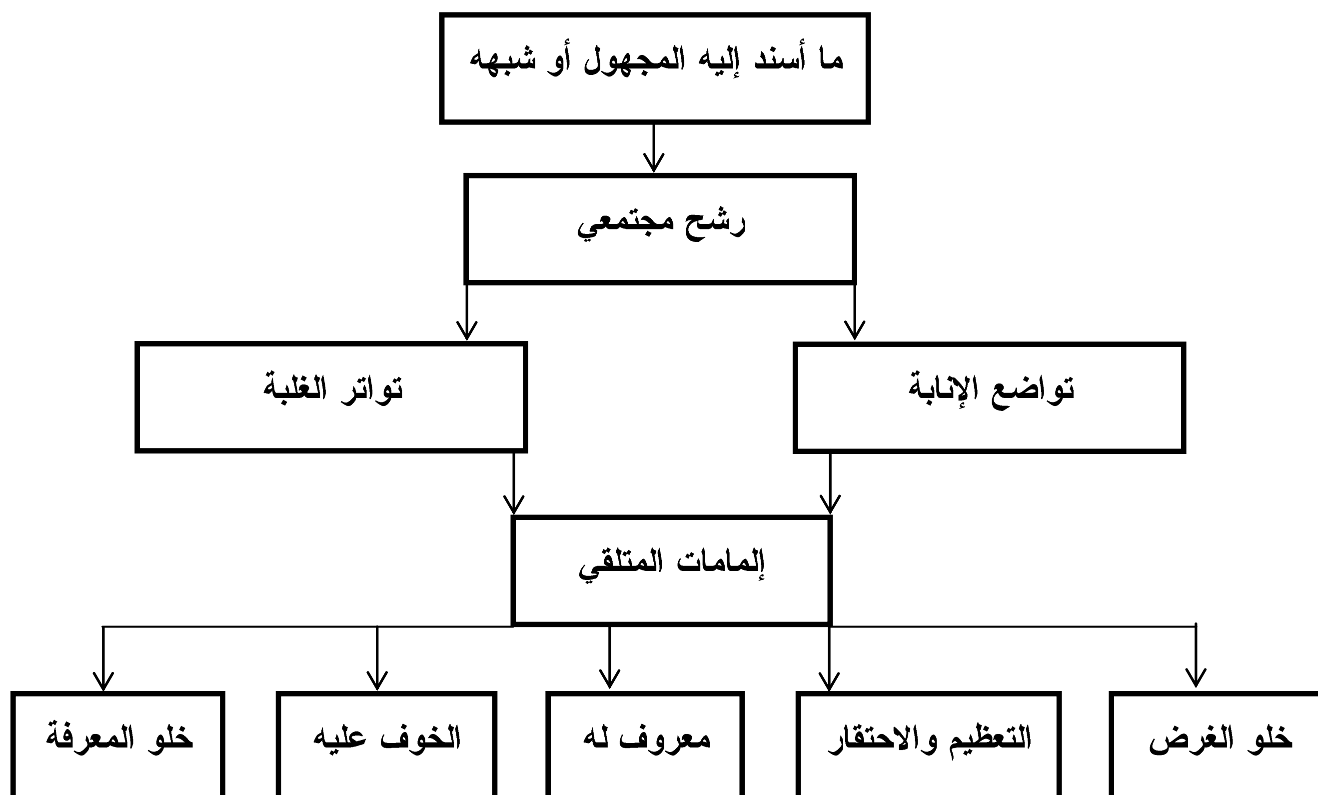
المعنى: سمعت هذا الكلام الذي هو الناس ينتجعون غيثاً، وهذا على الحكاية[57].

إن ما نذكره –ثبتاً لما نحن فيه– أن قيمة السمع عند العرب خرجت من أمثلتهم النحوية كأنها عقل حي تتلامح في جهات الحكمة خطراتها، وتتراسل في ذهن المتلقين نظراتها، ونراها عين اليقين في أصلاب اللغة، ثم ما يداخل ذلك من تنظير نصادفه عند توم بيفر من " أن المستمع يسمع ما يتوقع أن يسمعه ويساعده على هذا التوقع معرفته بأصوات لغته ومعرفته بقواعدها ومعرفته بمعاني المفردات فيها ، وكذلك معرفته بالعلم بوجه عام وبحضارة أمته بوجه خاص"[58].

ب- السياسة الذرعية

يطالعنا ابن هشام بالقول "وغير النائب مما معناه متعلق بالرفع واجب نصبه لفظاً، إن كان غير جار ومجرور كــــ "ضُرب زيد يوم الخميس أمامك ضرباً شديداً"[59].

هذا الموضع بعيد المنزع، منتشر الجهات، أمعنا له البحث وأبعدنا في المطلب عن فسحة التحليل، وبسطة التوجيه فتراءى لنا أنه معقود بإجمال الترسيمة الآتية:



وإذا وصلنا القول، وعالجناه من حيث يندفع نجد أن النحويين قد قيدوا أمثلتهم بسلوك المجتمع وصميمه، وتحروا معوّجه ومستقيمه، وما ثنائية الضرب والإنابة عن ذلك المستخلص ببعيدة، ومما نستوفي به هذه الفائدة الظنية مآل آخذ بشعبتين:

– تواضع الإنابة؛ فالمصدر ينوب عن الفعل، "نحو: قياماً وقعوداً، وينوب عن المصدر مصدر الفعل الذي يلاقيه في الاشتقاق، نحو كلمته كلاماً، ومرادفه نحو: قعدت جلوساً، وآلته فهو: ضربته سوطاً، وضميره نحو: كتبته كتابة لا أكتبها لغيرك"[(60)].

وبالجملة فإن في المجتمع نائباً لكل من يقوم بوظيفة مهمة، كقائد الجند في المعارك، والزعيم في القبيلة، فأنبأت صورة الإنابة عن توليفة اجتماعية لها سيرورتها في أذهان العرب، وتركت إملاءاتها في وعي أمثلة النحويين.

– تواتر الغلبة: قال ابن جني– فيما نحن بسبيله في باب نائب الفاعل– وأعلم أن المفعول به في هذا الباب يرتفع من حيث يرتفع الفاعل؛ لأن الفعل قبل كل واحد منها حديث عنه ومسند إليه، وذلك قولك: ضُرب زيد، وشُتم بكر"[(61)].

اكتسى هذا الإقرار لبوس طبائع المجتمع، فلا مرية من لقائه متداولاً بين المتكلم والسامع، فإن اختلاف التشكيل في موضع المضروب، وتقليبه في النظم يأتي محتاطاً للفت عناية المتلقين المختلفة، فأحوالهم تؤثر في مراتب القول، وما ذاك إلا لتبيان الذهن الجمعي في ضعف المضروب، وقوة الضارب ومن ثمّ فقد أومض احتفاء النحويين بهذه الظاهرة إلى أن "التحليل الكامل لما تعنيه الكلمة، أو صيغة الجملة يجب أن يشتمل على قدر كبير، وغير محدود من المعرفة فوق اللغوية، ومن معرفة الكثير من المدركات، والمشاعر والأفكار، والعواطف، والآمال، والمخاوف الخاصة....الخ(62).

إن أحسن ما ننتهي إليه مما هو بهدي هذا المسعى أن هذا الفيض من الأداء اللغوي موصول بقرائن اجتماعية لا تنسلخ عن عادات العرب، وأن بعض جوانب بناء اللغة لا يمكن وصفه إلا بالرجوع إلى الكلام على أنه سلوك اجتماعي في المقام الأول"(63).

آخر الفكرة... صفوة القول

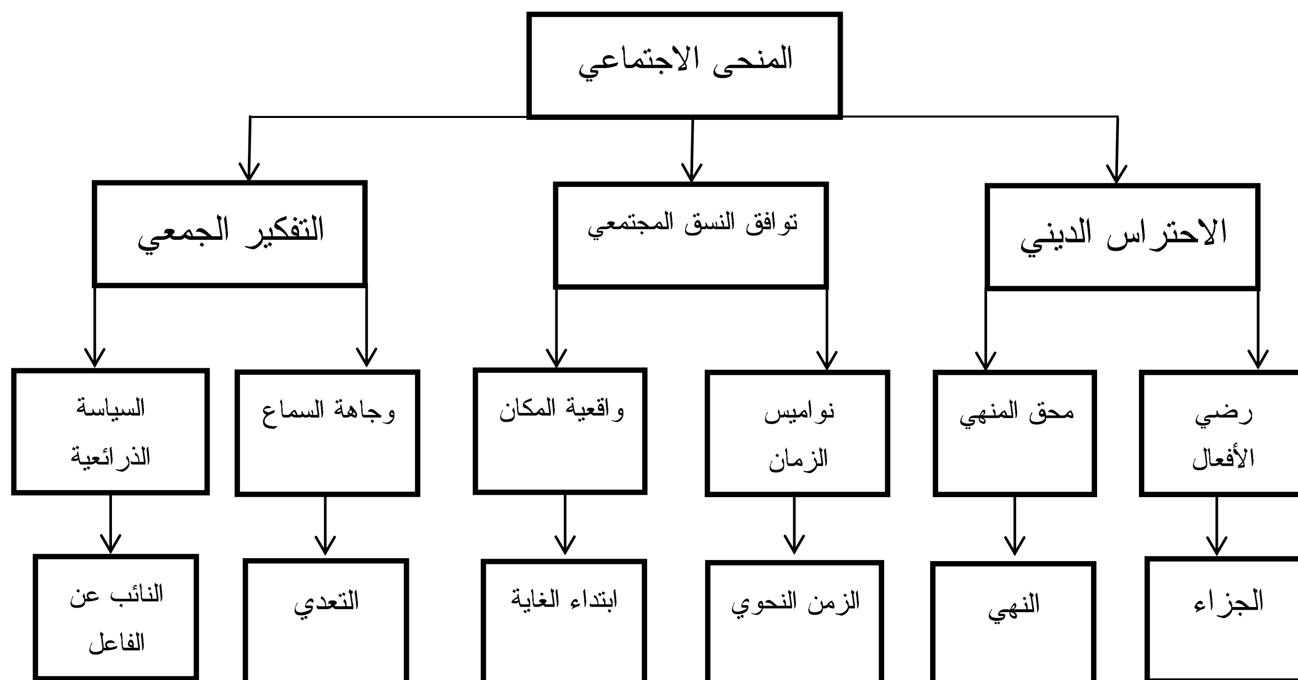
ما لنا من محيص عن تبيان ما ألفناه في لوائح النحويين المسفرة، إذ نبأتنا من أخبار المجتمع، فبدت أمثلتهم كالأشعة المتكسرة على الصفائح المصقولة بما حوته من أثر الإمارات البازغة للأعراف في المنجز اللغوي.

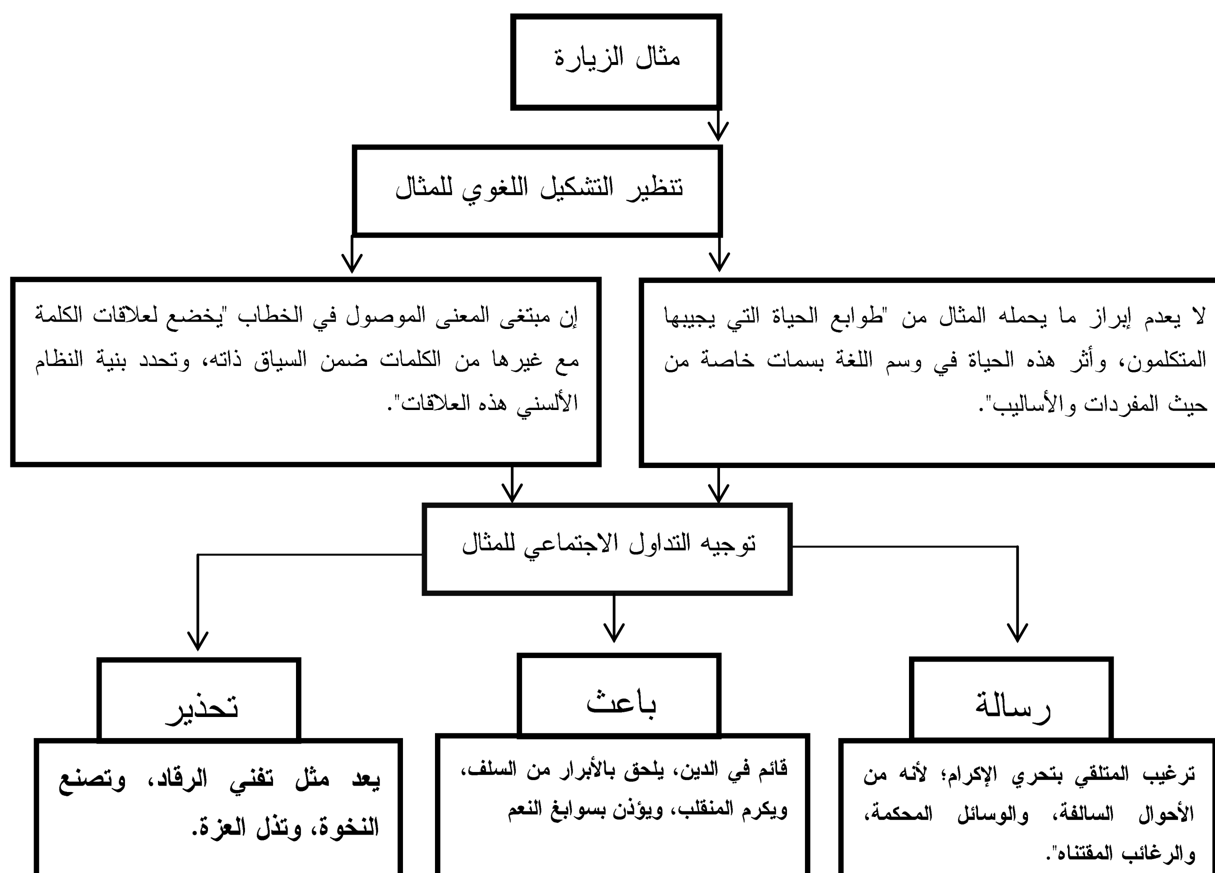
وليس بشائن متحكم الموضوعات التي آثرناها في هذه الندوب البينة؛ فهي تراث ارتبط بالذاكرة الجماعية، وحمل مدركات العقل العربي، ثم وظّفها النحويون في مدوناتهم، فلا مدحض لنير برهانهم، ولا مأخذ على تضاعيف نحوهم.

وقد اتسمت هذه الفائدة الظنية بمضامين نحوية عمادها:

- جملة الجزاء وإيحاؤها.
- صورة النهي ونسقه.
- معاينة الزمن النحوي.
- إحكام معنى الغاية.
- إمعان النظر في التعدي.
- مبتغى النائب عن الفاعل.

فإذا الذي بين أيدينا من الموضوعات كأنه وليُ حميم بأشكال السلوك الاجتماعي ومعاينة الاصطلاح العرفي بين المتكلم والسامع، وما يقتضيه التبسط في مناحي الفكر الاجتماعي من الاحتراس الديني، والنسق التوفيقي، والتفكير الجمعي.


المنحى الاجتماعي
الاحتراس الديني
توافق النسق المجتمعي
التفكير الجمعي
رضي الأفعال
محق المنهي
نواميس الزمان
واقعية المكان
وجاهة السماع
السياسة الذرائعية
الجزاء
النهي
الزمن النحوي
ابتداء الغاية
التعدي
النائب عن الفاعل


مثال الزيارة
تنظير التشكيل اللغوي للمثال
لا يعدم إبراز ما يحمله المثال من "طوابع الحياة التي يجيبها المتكلمون، وأثر هذه الحياة في وسم اللغة بسمات خاصة من حيث المفردات والأساليب".
إن مبتغى المعنى الموصول في الخطاب "يخضع لعلاقات الكلمة مع غيرها من الكلمات ضمن السياق ذاته، وتحدد بنية النظام الألسني هذه العلاقات".
توجيه التداول الاجتماعي للمثال
رسالة
باعث
تحذير
ترغيب المتلقي بتحري الإكرام؛ لأنه من الأحوال السالفة، والوسائل المحكمة، والرغائب المقتناه".
قائم في الدين، يلحق بالأبرار من السلف، ويكرم المنقلب، ويؤذن بسوابغ النعم
يعد مثل تفني الرقاد، وتصنع النخوة، وتذل العزة.

الهوامش :

(1) ينظر: الأصول الفلسفية للتربية، أميل فهمي، عبد اللطيف محمود، القاهرة، 2001، (172).

(2) اللغة، فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950م، (35).

(3)See Sociolinguistic Aspects of language learning and teaching by j–B. pride, p5.

(4) دراسات في علم اللغة دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، كمال بشر، 58.

(5) الأعراف الاجتماعية، نهاد الموسى، المجلة العربية للدراسات اللغوية، الخرطوم، مجـــ (4)، ع(1)، 1985م، (14).

(6) الشاهد الشعري في النقد والبلاغة قضايا وظواهر ونماذج، عبد الرزاق صالحي، ط1، عالم الكتب الحديث، بيروت، 2010م، (32).

(7) رؤى لسانية في نظرية النحو العربي، حسن خميس الملخ، ط1، دار الشروق، عمان، 2007، (114).

(8) الأصول الفلسفية للتربية، 172.

(9) اللغة، فندريس، 304.

(10) أثر الأعراف في مسيرة العربية، محمد علي ربّاع، مجلة البلقاء، جامعة عمان الأهلية، 2005م، (74).

(11) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق علي النجدي ناصف، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، 1969م، 274/2.

(12) اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، لطفي مصطفى، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1976، (47).

(13) المغني في النحو ابن فلاح اليمني النحوي، تحقيق: عبد الرزاق عبد الرحمن السيد، ط1، دار الشؤون الثقافية: 282/2.

(14) نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، نهاد الموسى، المؤسسة العربية، عمان، 1980، نهاد الموسى، 96.

(15) علم الاجتماع اللغوي، محمد عفيف الدين، مطبعة دار العلوم اللغوية، 2001م، (21).

(16) الكتاب، ســيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 3، 1988، 1/ 138.

(17) المصدر نفسه، 83/1.

(18) الأصول في النحو، لابن السراج، تحقيق عبد الحسين الفتلي، ط3، مؤسسة الرسالة، 1996م،179/3.

(19) المقتضب، المبرد، تحقيق كاظم عبد مرجان، بغداد، 1982م، 37/3.

(20) الألسنية العربية، ميشال طحان، ط2، دار الكتاب اللبناني، (1981)، (89).

(21) شرح الرضي على الكافية، تحقيق عبد الحميد شأنوحة، دار الثقافة، مكة المكرمة، 1410هــ، 395/2.

(22) see language Anthropology, Alessandro Duanti. P (231)
(23) شرح الكافية، 396/2.
(24) اللغة والجنس، عيسى برهومة، ط1، دار الشروق، عمان، 2002م.
(25) قواعد الضبط الاجتماعي عند الماوردي، موسى أبو حوسة، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، ع (17)، م (15) 1985، (48).
(26) ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، 53/1.
(27) الإسلام والضبط الاجتماعي، سلوى علي سليم، ط1، مكتبة وهبة، مصر، 1985، (68).
(28) الكتاب، 95/1.
(29) من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ط8، مكتبة الأنجلو، القاهرة، (251).
(30) نظرية النحو العربي، 92.
(31) اللغة الإنسانية، أحمد عبد الرحيم السايح، مجلة اللسان العربي، ع1، مجـــ (9)، 1972، (53).
(32) الأنثروبولوجيا اللغوية، دار المعرفة الجامعية، ط1، الإسكندرية، 2002م، مها محمد فوزي، 11.
(33) ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخارجي، مصر، 1998م، 78/1.
(34) الخصائص ، 139/2.
(35) رؤى لسانية في نظرية النحو العربي، 140.
(36) أدب الدنيا والدين، الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م، 305.
(37) الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983، (24).
(38) فعل، يفعل بين التصريف والنحو، مصطفى النحاس، مجلة أبحاث اليرموك، م2، 14، 1984، (45).
(39) المقتضب، 9/1.
(40) لمزيد إطلاع على معانيها ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش، تحقيق أميل يعقوب، بيروت، 2001م، 10/8-14، الجنى الداني، في حروف المعاني، المرادي، تحقيق فخر الدين قباوة، بيروت، 1992م، 314.
(41) صحيح مسلم، تحقيق: عز الدين ضلي، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، 1430ه، كتاب الحج، 1397.
(42) رؤى لسانية في نظرية النحو العربي، 141.
(43) العلاقة بين فهم القارئ وفهم كاتب النص، فالح شبيب العجمي، مجلة عالم الفكر، م1، 14، 1999، (351).
(44) العلاقة بين فهم القارئ وفهم كاتب النص، (351).
(45) المقدمة، ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرف، 2004م، 1056.
(46) رؤى لسانية في نظرية النحو العربي، 139.
(47) سوسيولوجيا اللغة، بيار أشار، ط1، بيروت، 1996، (23).
(48) شرح المقدمة المحسبة، ابن باشاذ، تحقيق: خالد عبد الكريم، ط1، المطبعة العصرية، الكويت، 1977م، 336.

[49] الأصول في النحو ، 203/1.
[50] اللغة وعلوم المجتمع، عبده الراجحي، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1978م، 49-50.
[51] ينظر: الإيضاح العضدي، لابن علي الفارسي، تحقيق حسن شاذلي فرهود، ط1، 1969م، 197.
[52] ينظر: شرح التسهيل، لابن مالك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 166/2.
[53] المصدر نفسه 167/2.
[54] المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة العربية، محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، 2007م.
[55] شرح الجمل، لابن عصفور، تحقيق فواز الشعار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، 303/1.
[56] ديوان ذي الرمة، تحقيق أحمد حسن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، 772.
[57] ينظر: شرح الجمل لابن عصفور 303/1.
[58] أضواء على الدراسات اللغوية، نايف خرما، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1978م، 163.
[59] أوضح المسالك، إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، مصر، 151/2.
[60] شرح ابن عقيل، على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، مصر، 1964م، 214/3.
[61] اللمع في العربية، ابن جني، تحقيق حامد المؤمن، منشورات جمعية منتدى النشر، النجف الأشرف، مطبعة العاني، ط1، 1982، (33).
[62] موجز تاريخ علم اللغة، روبنز، ترجمة أحمد عوض، 342.
[63] علم اللغة الاجتماعي، هدسن، ترجمة محمود عياد، نصر حامد أبو زيد، محمد أكرم سعد الدين، ط3، عالم الكتب، بيروت، 142.

مناهل المسعى

- القرآن الكريم
1- أدب الدنيا والدين، علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، دار الكتب العلمية– بيروت، 1978.
2- الإسلام والضبط الاجتماعي، سلوى علي سليم، ط1، مكتبة وهبة، مصر، 1985م.
3- الأصول، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي (316هـ)، تحقيق عبد الحسين الفتلي، ط3، مؤسسة الرسالة، 1996م.
4- الأصول الفلسفية للتربية، أصيل فهمي، عبد اللطيف محمود، القاهرة، 2001م.
5- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، نايف خرما، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1978.

6- الألسنة العربية، ريمون طحان، ط2، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، 1981.
7- الأنثروبولوجيا اللغوية، مها محمد فوزي، دار المعرفة الجامعية، ط1، الإسكندرية، 2009.
8- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، للإمام ابن محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، مصر.
9- الإيضاح العضدي، أبو علي الفارسي، تحقيق: حسن شاذلي فرهود، ط1، (1389هـ- 1969م).
10- البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، 1998.
11- الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي، تحقيق فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.
12- دراسات في علم اللغة، كمال محمد بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.
13- ديوان ذي الرمة، تحقيق: أحمد حسن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.
14- رؤى لسانية في نظرية النحو العربي، حسن خميس الملخ، ط1، دار الشروق، عمان، 2007م.
15- سوسيولوجيا اللغة، بيار أشار، ط1، بيروت، 1966م.
16- الشاهد الشعري في النقد والبلاغة، قضايا وظواهر ونماذج، عبد الرزاق صالحي، ط1، عالم الكتب الحديث، بيروت، 2010م.
17- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، مصر، 1964م.

18- شرح التسهيل تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، طار فتحي السيد، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.
19- شرح جمل الزجاجي، علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن عصفور الأشبيلي، أبو الحسن تحقيق، فواز الشعار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
20- شرح المفصل، موفق الدين بن يعيش بن علي، تحقيق: إيميل بديع يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.
21- شرح المقدمة المحسبة، طاهر بن أحمد بن بابشاذ، تحقيق: خالد عبد الكريم، ط1، المطبعة العصرية، الكويت، 1977م.
22- شرح الكافية الشافية، رضي الدين محمد الحسن الاسترابادي، تحقيق عبد الحميد شانوحة، ط1، دار الثقافة، مكة المكرمة، 1410هـ.
23- صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: عز الدين ضلي وعماد الطيار، وياسر حسن، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1430هـ.
24- علم الاجتماع اللغوي، محمد عفيف الدين، مطبعة دار العلوم اللغوية، 2010م.
25- علم اللغة، بيار غيرو، ترجمة أنطوان أبو زيد، مكتبة جامعة فيلادفيا.
26- علم اللغة الاجتماعي، هدسن، ترجمة محمود عياد، نصر حامد أبو زيد، محمد أكرم سعد الدين، ط3، عوالم الكتب، بيروت.
27- الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م.
28- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 3، 1988 .
29- اللسانيات الاجتماعية عند العرب، هادي نهر، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، 2010م.
30- اللغة، فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصري، القاهرة، 1950م.
31- اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، مصطفى لطفي، ط2، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1981م.

32- اللغة والجنس، عيسى برهومة، ط1، دار الشروق، عمان، 2002م.
33- اللغة وعلوم المجتمع، عبد الراجحي، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1978م.
34- اللمع في العربية، ابن جني، تحقيق حامد المؤمن، منشورات جمعية منتدى النشر، النجف الأشرف، مطبعة العاني، ط1، 1982م.
35- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق علي النجدي ناصف، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1969م.
36- المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة العربية، محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، 2007م.
37- المغني في النحو، ابن فلاح اليمني النحوي، تحقيق: عبد الرزاق عبد الرحمن السيد، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة.
38- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة.
39- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق كاظم عبد المرجان، بغداد، 1982م.
40- المقدمة، ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، 2004م.
41- من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ط8، مكتبة الأنجلو، القاهرة.
42- موجز تأريخ علم اللغة، روبنزر.هـ. (روبرت هنري)، ترجمة أحمد عوض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997م.
43- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، نهاد الموسى، المؤسسة العربية، عمان، 1980.

المناهل الأجنبية

44- Linguistic Anthropology, Alessandro Duranti, P.
45- Socilinguistic Aspects of languge learning and teaching by j.B.

الدوريات

46- أثر الأعراف الاجتماعية في مسيرة العربية، محمد علي ربّاع مجلة البلقاء، جامعة عمان الأهلية، 2005.

47- الأعراف الاجتماعية، أو نحو اللسانيات الاجتماعية في العربية، نهاد الموسى، المجلة العربية للدراسات اللغوية، الخرطوم، مجــ4، 14، 1985.

48- العلاقة بين فهم القارئ وفهم كاتب النص، فالح شبيب العجمي، مجلة عالم الفكر، م(1) ع(1)، 1999م.

49- فعل، يفعل، بين التصريف والنحو، مصطفى النحاس، مجلة أبحاث اليرموك، م(2)، ع(1)، 1984م.

50- قواعد الضبط الاجتماعي عند الماوردي، موسى أبو حوسة، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، ع(17)، م(5)، 1985م.

51- اللغة الإنسانية، أحمد عبد الرحيم السايح، مجلة اللسان العربي، ع(1)، مجــ (9)، 1972، (53).